

المحاضرة الخامسة

علم الأسلوب والعلوم اللغوية والأدبية

مقدمة

إن العلاقة بين الأدب واللغة تشبه العلاقة بين الوظيفة والمادة، والغاية والوسيلة، والثمرة والشجرة. فاللغة تُعتبر المادة الأساسية التي يُبنى عليها الأدب، وتُستخدم كوسيلة لتحقيق الأهداف التواصلية للأدب، بينما يُنظر إلى الأدب على أنه نتاج اللغة، ناتج توظيفها واستثمار عناصرها الأساسية وقواعدها الشاملة. وبالتالي، فإن نشوء علوم اللغة كان بهدف كشف أسرار الأدب وفهم قوانين البلاغة في الكلام، ولحماية الأهداف التواصلية، سواء كانت نفعية أم جمالية، من أي ضعف أو اختلال.

لقد ظل الأدب واللغة في تاريخ ثقافتنا العربية كعلمين توأمين، يتداخلان ويتكاملان بشكل لا ينفصل أحدهما عن الآخر. فالأديب يستمد من علوم اللغة ما يعزز من ملكته اللغوية، ويضمن استقامة لغته، وتحكمه في موهبته الأدبية. وفي نفس الوقت، يُعد الناقد عالماً بفقهِ اللغة، متبحراً في علومها وخبيراً بأسرار بلاغتها، بالإضافة إلى ما يتمتع به من رفعة ذوق ونباهة فكر. أما اللغوي، فهو غير منفصل عن معرفة الآداب، ولا يعجز عن بلاغة الأداء، حيث يتبع القول القائل: "من أراد أن يكون إماماً في العلم فعليه أن يتبحر في فرع من فروعهِ، ومن أراد أن يكون أديباً فعليه أن يأخذ من كل علم بطرف".

ومن بين العلوم التي تجمع بين علمي اللغة والأدب، يبرز علم الأسلوب كأحد أهم هذه العلوم. يجب أن يدرس هذا العلم في المنطقة المشتركة بين اللغة والأدب، كونه يمثل الركيزة اللغوية ونوعاً من التعبير يتميز بخواص تعبيرية لغوية وغير لغوية. كما أوضح "بشر" في قوله: "وحقيقة الأمر عندنا أن علم الأسلوب ينتهي إلى مجالين:

- مجال الدراسات اللغوية: حيث يُنظر إلى الأسلوب على أنه بناء أو هيكل لغوي مكون من وحدات لغوية مُنسوقة وفقاً لمعايير لغوية ومع قواعد اللغة المحددة.

- مجال الأدب ونقده: بوصفه نوعاً من التعبير المنفرد بخواص تعبيرية مميزة لغوية وغير لغوية، وبوصفه نمطاً خاصاً من الكلام يفي أولاً بأغراضه الأدبية والثقافية والاجتماعية والنفسية.

إذا كانت اللغة تُعد بناءً أساسياً للأديب من حيث الشكل، فإن الأسلوب يمثل الإمكانيات التي توفرها اللغة، ويستغلها الكاتب بأقصى قدر ممكن، أو يستغلها صانع الجمال الماهر الذي لا يقتصر اهتمامه على تأدية المعنى فحسب، بل يسعى أيضاً للوصول إلى المعنى بأوضح وأحسن وأجمل السبل. وإذا لم يتحقق هذا الهدف، فإن الكاتب يفشل وينعدم معه الأسلوب.

يُعد علم الأسلوب محوراً أساسياً في توحيد اللغويات والأدب، حيث يُمثل جسراً يربط بين النظرية اللغوية والتعبير الأدبي، مما يعزز من فهمنا العميق لكيفية استخدام اللغة لتحقيق الأهداف الأدبية والفنية. من خلال دراسة الأسلوب، يتمكن الباحثون من تحليل النصوص الأدبية بطرق متعددة الأبعاد، مما يساهم في اكتشاف الجماليات والابتكارات اللغوية التي تميز الأعمال الأدبية. علاوة على ذلك، يُعتبر فهم الأسلوب أمراً جوهرياً لتطوير مهارات الكتابة والنقد الأدبي، مما يعزز من قدرة الأديب والناقد على التواصل بفعالية مع الجمهور وتحقيق التأثير المطلوب.

I. تاريخ العلوم اللغوية والأدبية

يتجسد تاريخ العلوم اللغوية والأدبية في رحلة إنسانية غنية بالتطورات الفكرية والتنوعات الثقافية، حيث لعبت اللغة دوراً محورياً في تشكيل الأدب وتطوره عبر العصور. إن فهم هذه العلاقة المتشابكة بين اللغة والأدب يتطلب استكشافاً عميقاً لأصولهما وتطورهما، مدعوماً بمحاولات العلماء الرائدة في تنظيم هذه العلوم وتوسيع نطاقها. في هذا القسم، سندسافر عبر الزمن لنستعرض أبرز المحطات التاريخية التي شهدتها العلوم اللغوية والأدبية، مسلطين الضوء على مساهمات علماء بارزين مثل أبو نصر الفارابي، ابن الأنباري، السكاكي، أبو حيان الأندلسي، أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده، والمرصفي. كما سنناقش تطور المصطلحات اللغوية وكيف انعكست التغيرات الفكرية على تصنيف هذه العلوم.

1. أول محاولات تنظيم علوم اللغة: أبو نصر الفارابي

في خضم العصور الإسلامية الذهبية، برز الفيلسوف واللغوي أبو نصر الفارابي كأحد الرواد في محاولة تنظيم علوم اللغة ضمن إطار موحد. أسس الفارابي مفهوم "علم اللسان"، الذي جمع بين مختلف فروع اللغة في منظومة شاملة، متضمنة مجالات متعددة مثل:

- تعريف "علم اللسان" وتكوينه من مجالات متعددة: يُعرف علم اللسان عند الفارابي بأنه دراسة شاملة للغة تشمل علم الألفاظ المفردة، علم الدلالة، البحث في الأصوات، وبناء الكلمة والجمله. هذا التكامل يعكس سعي الفارابي لفهم اللغة ككل متكامل، من تركيبها الصوتي إلى معانيها اللغوية، وكيفية بناء الجمل لتحقيق التواصل الفعّال.
- مقارنة تصنيفات الفارابي بالتصنيفات الحديثة: بينما ضم الفارابي جميع جوانب اللغة تحت مظلة واحدة، تطورت التصنيفات الحديثة لتفصل بين فروع اللغة بشكل أكثر دقة وتخصصاً، مثل الصرف، النحو، الدلالة، والصوتيات. إلا أن رؤية الفارابي الشمولية شكلت قاعدة أساسية لفهم تكاملية العلوم اللغوية، مما مهد الطريق لتقسيمها إلى فروع متخصصة تسهم في تعزيز الدراسة الأكاديمية لهذه المجالات.

2. ابن الأنباري وتوسيعه لعلوم الأدب

استمرت مسيرة التوسع والتنظيم في علوم اللغة والأدب مع ابن الأنباري، الذي أضاف أبعاداً جديدة لمفهوم علوم الأدب من خلال شمولها لمجموعة واسعة من الفروع اللغوية. تميز ابن الأنباري في توسيع نطاق علوم الأدب بما يلي:

- شمول علوم الأدب لعلوم اللغة والنحو والعروض والقافية: قام ابن الأنباري بدمج علوم اللغة مثل النحو والصرف مع علوم الأدب كالعروض والقافية، مما جعل الأدب علماً شاملاً يمكن من خلاله تحليل النصوص الأدبية بعمق ودقة. هذا الشمول يعزز من قدرة الباحثين على فهم التراكيب اللغوية والإبداعية في النصوص الأدبية، مما يسهم في إثراء النقد الأدبي وتطويره.

- اعتباره لعلم أصول النحو كعلم مستقل: اعتبر ابن الأنباري علم أصول النحو كعلم مستقل بذاته، يركز على منهجيات البحث النحوي وتحديد القواعد الأساسية التي تستند إليها النحو. هذا التمييز عزز من مكانة علم النحو كفرع متخصص، مما ساهم في تحسين جودة التحليل اللغوي للأدب وتطبيق القواعد النحوية بشكل أكثر دقة في دراسة النصوص الأدبية.

3. تصنيفات السكاكي وأبو حيان

- مع تطور العلوم اللغوية، قدم السكاكي وأبو حيان الأندلسي تصنيفات مبتكرة تهدف إلى تحسين فهم وتصحيح الأخطاء اللغوية، مما يعكس توجهًا عمليًا في تنظيم العلوم اللغوية:
- تقسيم السكاكي لعلوم اللغة بناءً على مصادر الخطأ: قام السكاكي بتقسيم علوم اللغة وفقًا لمصادر الأخطاء اللغوية، مما يساهم في تحديد نوع الخطأ وتصحيحه بفعالية أكبر. شمل هذا التقسيم:
 - علم الصرف: يركز على أخطاء بنية الكلمة مثل تصريف الأفعال وتشكيل الأسماء.
 - علم النحو: يعنى بأخطاء تركيب الجمل مثل ترتيب الكلمات واستخدام العلامات الإعرابية.
 - علم المعاني والبيان: يعنى بأخطاء مطابقة العبارات للمعاني مثل استخدام كلمات غير متناسبة مع السياق.
- تعريف أبو حيان للعلوم اللسانية العربية: قدم أبو حيان تعريفًا شاملاً للعلوم اللسانية العربية، متضمنًا فروعًا مثل علم اللغة، علم التصريف، علم النحو، وعلم الوضع. يهدف هذا التعريف إلى توفير إطار منهجي لفهم وتصحيح الأخطاء اللغوية، مما يعزز من جودة اللغة العربية واستخدامها بشكل دقيق وصحيح.

4. تصنيف أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده

- في مرحلة لاحقة، جاء أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده ليقدّم تصنيفًا دقيقًا لعلوم اللغة والأدب، مركّزًا على التمييز بين دراسة المفردات والمركبات. يتضمن هذا التصنيف:
 - التمييز بين دراسة المفردات والمركبات: قام زاده بفصل دراسة المفردات عن دراسة المركبات، مما ساهم في تنظيم الدراسة اللغوية بشكل أكثر فعالية. حيث تُعنى دراسة المفردات بالكلمات الفردية ومعانيها، بينما تُعنى دراسة المركبات بتكوين الجمل وتركيبها من مفردات مختلفة.
 - تعريف مجالات دراسة المفردات مثل علم مخارج الحروف، علم الوضع، علم الاشتقاق، وعلم الصرف: ضمن دراسة المفردات، قام زاده بتحديد مجالات متعددة منها:
 - علم مخارج الحروف: دراسة أصوات الحروف وكيفية نطقها، مما يساعد في تحسين جودة النطق والتواصل اللفظي.
 - علم الوضع: تحليل معاني الألفاظ في سياقات مختلفة، وفهم كيفية تغيير معاني الكلمات بناءً على السياق.
 - علم الاشتقاق: دراسة كيفية اشتقاق الكلمات من جذورها، مما يعزز من فهم تطور المعاني وتنوعها.
 - قواعد تشكيل الكلمات وتصريفها، مثل إضافة أو حذف حروف لتغيير زمن الفعل أو صيغة الاسم.

5. تصنيفات المرصفي

لم يقتصر تطور التصنيفات على العلماء السابقين فقط، بل جاء المرصفي ليقدم تصنيفاً شاملاً للعلوم العربية، مقسماً إياها إلى عدة فروع رئيسية، مما يعكس فهماً عميقاً لتداخل وتكامل هذه الفروع في دراسة اللغة والأدب. يشمل تصنيفه:

- تقسيم العلوم العربية إلى علم متن اللغة، فقه اللغة، علم الصرف، علم النحو، علم المعاني، علم البيان، علم العروض، علم القافية:
- علم متن اللغة: يركز على دراسة معاني الألفاظ في سياقاتها وكيفية استخدامها في الجمل.
- فقه اللغة: يعنى بدراسة الفروق في المعاني واستخدام الألفاظ بناءً على السياق.
- علم الصرف: يهتم بقواعد تشكيل وتصريف الكلمات.
- علم النحو: يتناول قواعد تركيب الجمل وتأثير ترتيب الكلمات على المعنى.
- علم المعاني: يعنى بدراسة معاني الكلمات والجمل وكيفية نقل الأفكار.
- علم البيان: يركز على فنون التعبير والبلاغة واستخدام الأساليب البلاغية.
- علم العروض: يعنى بدراسة الأوزان الشعرية وتنظيم الأبيات بشكل إيقاعي.
- علم القافية: يركز على تحليل تكرار الأصوات في نهاية الأبيات لتحقيق التناغم الموسيقي.

6. تطور المصطلحات اللغوية عبر التاريخ

لا يمكن إغفال دور تطور المصطلحات اللغوية في تشكيل العلوم اللغوية والأدبية، حيث شهدت المصطلحات تطوراً ملحوظاً يعكس التغيرات في فهم اللغة وأهداف دراستها:

- تنوع التسميات واستخدامها في مراحل تاريخية مختلفة: بدأت المصطلحات اللغوية بكونها شاملة مثل "علم اللسان"، ثم تطورت لتشمل مصطلحات أكثر تخصصاً مثل "علم الأصوات" و"علم البنيوية". هذا التنوع يعكس التخصص والتعمق في دراسة اللغة، مما يساعد الباحثين على التركيز على مجالات محددة من الدراسة اللغوية وتطويرها بشكل أكثر فعالية.
 - أهمية استخدام المصطلحات الحديثة بناءً على النظرية الحديثة لعلم اللغة: بناءً على النظريات الحديثة مثل نظرية دي سوسير، أصبح من الضروري استخدام مصطلحات دقيقة تتماشى مع التطورات العلمية لضمان فهم أفضل وتحليل أدق للنصوص. هذا يعزز من توحيد الدراسات اللغوية والأدبية، ويسهل التواصل بين الباحثين، مما يساهم في تقدم العلوم اللغوية والأدبية بشكل عام.
- وهكذا تنوعت التسميات التي أطلقت في مراحل تاريخية مختلفة على مجال البحث في اللغة، ولذا تعتبر هذه المصطلحات جزءاً من تاريخ البحث اللغوي، وينبغي أن نترك هذه المصطلحات للحديث في تاريخ العلم على أن تكون المصطلحات الحديثة قائمة على أساس النظرية الحديثة لعلم اللغة.

II. علاقة علم الأسلوب بالعلوم اللغوية

تلعب العلاقة بين علم الأسلوب والعلوم اللغوية دورًا حيويًا في فهم كيفية تفاعل اللغة مع الأدب، وكيفية استخدام الأسلوب كأداة لتحقيق أهداف أدبية وفنية متنوعة. إن علم الأسلوب ليس مجرد فرع من فروع اللغويات، بل هو جسر يربط بين التحليل اللغوي العميق والتعبير الأدبي الإبداعي.

1. علم الأسلوب كفرع موحد

- ارتباطه الوثيق بين علمي اللغة والأدب: يُعتبر علم الأسلوب من العلوم التي تجمع بين علمي اللغة والأدب بشكل متكامل، حيث يستفيد من الأدوات التحليلية للغويات لفهم كيفية تشكيل النصوص الأدبية للمعاني والتأثيرات. يجمع هذا العلم بين دراسة القواعد اللغوية والنحو من جهة، وفنون التعبير الأدبي والبلاغة من جهة أخرى. إن هذا الارتباط الوثيق يسمح بفهم أعمق لكيفية استخدام اللغة في الأدب، وكيفية تحقيق الأديب لأهدافه الفنية من خلال الأساليب اللغوية المختلفة. كما يمكن من خلال هذا الارتباط تحليل النصوص الأدبية بشكل شامل، ما يعزز من قدرات النقد الأدبي و يتيح اكتشاف الجوانب الإبداعية في النصوص.
- كونه ركيزة لغوية ونوعاً من التعبير المنفرد بخواص لغوية وأدبية: يُعد علم الأسلوب ركيزة لغوية أساسية، حيث يعتمد على فهم دقيق للقواعد اللغوية والنحو لتحقيق التعبير الأدبي الفعال. بالإضافة إلى ذلك، يُعتبر الأسلوب نوعاً من التعبير المنفرد يتميز بخواص تعبيرية لغوية وأدبية مميزة، مما يجعله أداة قوية لتحقيق التأثيرات الفنية والجمالية في النصوص الأدبية. يتطلب هذا النوع من التعبير إبداعاً وابتكاراً في استخدام اللغة، مما يعزز من قدرة الأديب على إيصال الأفكار والمشاعر بطريقة مميزة وجذابة. كما أن هذه الخاصية تجعل علم الأسلوب ضرورياً لفهم كيفية تحقيق التوازن بين القواعد اللغوية والإبداع الأدبي، مما يساهم في إنتاج نصوص أدبية ذات جودة عالية وجاذبية فنية.

2. النماذج النظرية لعلم الأسلوب

- نموذج العلاقة بين علم اللغة النظري والتطبيقي وعلم الأسلوب النظري والتطبيقي: تتنوع النماذج النظرية لعلم الأسلوب بحسب المنهجيات التي يتبناها الباحثون في دراسته. يتضمن هذا التنوع نموذجين رئيسيين: علم اللغة النظري والتطبيقي وعلم الأسلوب النظري والتطبيقي.
- علم اللغة النظري يركز على بناء وتحليل النظام اللغوي، مثل دراسة القواعد والنحو والدلالات بشكل نظري، بهدف فهم البنية الأساسية للغة وكيفية تنظيمها.
- علم اللغة التطبيقي يقوم بتطبيق هذه النظريات على نصوص واقعية، مثل تحليل النصوص الأدبية باستخدام قواعد اللغة لفهم كيفية استخدام اللغة في سياقاتها الفعلية.
- علم الأسلوب النظري يهتم بدراسة المبادئ العامة للأسلوب، مثل كيفية اختيار الكلمات وتركيب الجمل لتحقيق تأثير معين.

- علم الأسلوب التطبيقي يركز على تطبيق هذه المبادئ على نصوص محددة، مثل تحليل أسلوب كاتب معين في روايته أو قصيدته، لفهم كيفية توظيف الأساليب اللغوية في النصوص الأدبية لتحقيق أهداف محددة.
- هذا التداخل بين النماذج النظرية والتطبيقية يعزز من قدرة علم الأسلوب على تحقيق تحليل شامل ودقيق للنصوص الأدبية، مما يساهم في فهم أعمق للأساليب المستخدمة وكيفية تأثيرها على القارئ.
- تأثير ثنائية دي سوسير بين النظام والاستعمال على علم الأسلوب: تُعد ثنائية دي سوسير بين النظام والاستعمال من النظريات الحديثة التي أثرت بشكل كبير على علم الأسلوب.
- النظام يشير إلى القواعد والبنية اللغوية التي تشكل أساس اللغة، مثل قواعد النحو والصرف. يعنى هذا الجانب بجوانب اللغة التي يمكن دراستها بشكل نظري وفهم كيفية تنظيمها.
- الاستعمال يشير إلى كيفية استخدام هذه القواعد في الكلام والنصوص، مثل اختيار الكلمات وتركيب الجمل في سياقات معينة. يعنى هذا الجانب بتطبيق القواعد اللغوية في الاستخدام الفعلي للغة.
- يستفيد علم الأسلوب من هذا التمييز لفهم كيفية توظيف النظام اللغوي في التعبير الأدبي، مما يساعد في تحليل كيفية تأثير الاستخدام الفعلي للغة على النصوص الأدبية. هذا التمييز يتيح لعلم الأسلوب دراسة كيفية تحقيق التوازن بين القواعد اللغوية والإبداع الأدبي في النصوص، مما يساهم في إنتاج نصوص أدبية ذات جودة عالية ومتوازنة بين الشكل والمضمون.
- 3. علم النحو التوليدي والأسلوب
- ثنائية الكفاءة والاختصاص مقابل الممارسة والفعل: يُعد علم النحو التوليدي من النظريات الحديثة التي أثرت بشكل كبير على فهمنا للأسلوب. يتناول هذا العلم ثنائية الكفاءة والاختصاص مقابل الممارسة والفعل:
- الكفاءة والاختصاص تتعلق بالقدرة على إنتاج اللغة وفهمها بناءً على القواعد النحوية، وهي تعكس المعرفة الداخلية للقواعد التي يستخدمها الأفراد في إنتاج الكلام. تشمل هذه الثنائية فهم القواعد النحوية والقدرة على تطبيقها في مواقف مختلفة.
- الممارسة والفعل تتعلق بكيفية استخدام اللغة في السياقات الحقيقية، مثل كيفية تركيب الجمل واستخدام الكلمات في محادثات معينة أو نصوص أدبية. تعكس هذه الثنائية الاستخدام الفعلي للغة في الحياة اليومية والتفاعل الاجتماعي.
- هذه الثنائية تعكس الفجوة بين المعرفة اللغوية النظرية والاستخدام العملي للغة، مما يجعل علم الأسلوب مجالاً حيويًا لدراسة كيفية تحقيق التوازن بين الكفاءة اللغوية والإبداع الأدبي في النصوص.
- ارتباط الأسلوب بتنفيذ اللغة الفردي في مجال الكلام والممارسة: يُعتبر الأسلوب انعكاسًا لكيفية تنفيذ الفرد للغة بناءً على خلفيته الثقافية والاجتماعية، مما يؤثر على كيفية تعبيره الأدبي. يشمل هذا اختيار الكلمات، تركيب الجمل، واستخدام الأساليب البلاغية لتحقيق تأثير معين على القارئ. يتضمن هذا الجانب

دراسة كيفية استخدام الأفراد للغة بطرق مبتكرة ومختلفة، مما يعزز من تنوع الأساليب الأدبية و يتيح فهمًا أعمق لكيفية تأثير الخلفية الثقافية والاجتماعية على استخدام اللغة في الأدب.

يُظهر هذا الارتباط كيف يمكن للأدب أن يعكس الهوية الثقافية والاجتماعية للأديب، وكيف يمكن للأسلوب أن يكون وسيلة لنقل هذه الهوية بطرق فنية وجمالية. بالإضافة إلى ذلك، فإن دراسة تنفيذ اللغة الفردي تعزز من فهمنا لكيفية تحقيق التوازن بين القواعد اللغوية والإبداع الأدبي، مما يساهم في إنتاج نصوص أدبية ذات جودة عالية ومتنوعة.

إذن فعلم الأسلوب هو منهج نقدي لساني يقوم على دراسة النص الأدبي دراسة لغوية لاستخلاص أهم العناصر المكونة لأدبية الأدب إذ تجعل منطلقها الأساس النص الأدبي؛ أي أن علم الأسلوب ينطلق من النص ليصب في النص أو كما يقال قراءة النص ذاته، وينبغي هنا أن نشير إلى أن الوصف اللغوي يتضمن استنباطاً لقواعد تحكم العبارات، أمّا في علم الأسلوب والتحليل الأسلوبي فإن غايته الكبرى ليست استنباط قواعد، وإنما هي مسألة تضمينية؛ أي إبراز خواص أسلوب بعينه، والواقع أن هدف التحليل الأسلوبي يطمح في بيان الخواص المميزة لأسلوب ما.

III. علاقة علم الأسلوب بالعلوم الأدبية

يشكل علم الأسلوب جسراً متيناً بين علوم اللغة والأدب، حيث يجمع بين التحليل اللغوي العميق والتعبير الأدبي الإبداعي. إن فهم علاقة علم الأسلوب بالعلوم الأدبية يتطلب استكشافاً لأدواره المتعددة في إثراء النصوص الأدبية، وتحقيق التوازن بين الشكل والمضمون، وكذلك تعزيز التواصل الفعال بين الكاتب والقارئ. في هذا القسم، سنستعرض كيف يتجسد علم الأسلوب كنمط تعبير، ونحدد أهداف البحث الأسلوبي، ونناقش خصوصية الشكل والمضمون في الأسلوب، مع التركيز على تأثير الرمزية والأسطورة والغموض في النصوص الشعرية وتوافق الشكل اللغوي مع المضمون الفكري والاجتماعي في النصوص النثرية.

1. علم الأسلوب كنمط تعبير

- دوره في إثراء القول وتكثيف الخطاب: يُعتبر علم الأسلوب أحد الأدوات الرئيسية التي يستخدمها الأديب في إثراء كلامه وتكثيف خطابه، مما يجعل النص أكثر عمقاً وجاذبية. من خلال اختيار الكلمات بعناية، وتركيب الجمل بطرق مبتكرة، يستطيع الأديب أن يخلق تأثيرات بلاغية تلامس مشاعر القارئ وتثير تفكيره. على سبيل المثال، استخدام الاستعارات والتشبيهات يعزز من الصور الأدبية ويضفي على النص طابعاً فنياً مميزاً. كما يساهم الأسلوب في تنظيم الأفكار وتوجيهها بشكل يسهل على القارئ فهم الرسالة الأدبية المراد إيصالها. بالتالي، يصبح النص الأدبي أكثر تفاعلاً وتأثيراً، مما يزيد من قدرتها على إيصال المعاني والأفكار بفعالية أكبر.

- كونه جسر بين اللسانيات والتاريخ الأدبي: يُعد علم الأسلوب جسراً حيوياً يربط بين علوم اللسانيات والتاريخ الأدبي، ما يتيح للباحثين فهم كيفية تطور الأساليب التعبيرية عبر الزمن وكيف انعكست هذه

التطورات على النصوص الأدبية. من خلال دراسة الأسلوب، يمكننا تتبع تأثير النظريات اللغوية المختلفة على الأدب وكيفية تفاعل الأدباء مع هذه النظريات في أعمالهم. على سبيل المثال، يمكننا رؤية تأثير البنيوية والتفكيكية على أساليب الكتابة في الأدب الحديث والمعاصر، وكيف ساهمت هذه النظريات في تشكيل توجهات جديدة في التعبير الأدبي. كما يساعد علم الأسلوب في فهم كيف يعكس النص الأدبي السياقات التاريخية والثقافية التي نشأ فيها، مما يعزز من قدرتنا على تحليل النصوص في إطارها التاريخي والثقافي.

2. أهداف البحث الأسلوبي

- الكشف عن روابط الأساليب المنسجمة أو المتنافرة: يهدف البحث الأسلوبي إلى الكشف عن الروابط بين الأساليب المختلفة في النصوص الأدبية، سواء كانت هذه الأساليب منسجمة أو متنافرة. فالكشف عن الأساليب المنسجمة يمكن أن يبرز التناسق والتوازن في النصوص الأدبية، مما يعكس قدرة الأديب على تحقيق توازن بين عناصر النص المختلفة مثل الشكل والمضمون والمعنى. أما الكشف عن الأساليب المتنافرة فيمكن أن يسلط الضوء على التوترات والصراعات الداخلية في النصوص، مما يعزز من تعقيدها وعمقها. على سبيل المثال، قد يستخدم الأديب أسلوباً سردياً بسيطاً في بعض الأجزاء من نصه وأسلوباً معقداً في أجزاء أخرى، ما يخلق تنوعاً في التعبير ويجذب انتباه القارئ إلى التغيرات في الأسلوب والأثر الذي يترتب عليه.
- معرفة التوظيف البلاغي للأنماط وأهميتها في النص: من الأهداف الأساسية للبحث الأسلوبي هو معرفة كيفية توظيف الأنماط البلاغية في النصوص الأدبية وأهميتها في تعزيز الرسالة الأدبية. تشمل هذه الأنماط استخدام التكرار، والاستعارة، والتشبيه، والمجاز، وغيرها من الأساليب البلاغية التي تضيف طبقات من المعاني والتأثيرات على النص. فهم كيفية استخدام هذه الأنماط يمكن أن يساعد في تحليل مدى فعالية النص في إيصال أفكاره ومشاعره. على سبيل المثال، يمكن استخدام التشبيه لتوضيح فكرة معقدة من خلال مقارنة مع مفهوم مألوف، ما يسهل على القارئ فهم الرسالة الأدبية. كما يساهم التوظيف البلاغي للأنماط في خلق جمالية خاصة للنص الأدبي، مما يزيد من جاذبيته ويجعله أكثر إبداعاً وتأثيراً.

3. خصوصية الشكل والمضمون في الأسلوب

- تأثير الرمزية والأسطورة والغموض في النصوص الشعرية تلعب الرمزية والأسطورة والغموض دوراً محورياً في النصوص الشعرية، حيث تضيف عمقاً وغنىً للمعاني وتجعل النص أكثر إثارة للتأمل والتفكير. الرمزية تُستخدم كوسيلة لنقل معاني أعمق وراء الكلمات الظاهرة، مما يسمح للأديب بتوصيل أفكار ومشاعر معقدة بطريقة غير مباشرة. على سبيل المثال، قد يستخدم الشاعر صورة الشجرة كرمز للحياة والنمو، أو يستخدم الليل كرمز للغموض والأسرار. الأسطورة تعزز من الأبعاد الثقافية والتاريخية للنص، مما يضفي طابعاً أسطورياً يربط النص بالعالم الأسطوري والموروث الثقافي. أما الغموض فهو يُستخدم كوسيلة لإثارة خيال القارئ وتحفيزه على التأمل والتفكير في المعاني المحتملة للنص، مما يجعل القصيدة أكثر عمقاً وتعقيداً ويعزز من تفاعل القارئ معها.

• توافق الشكل اللغوي مع المضمون الفكري والاجتماعي في النصوص النثرية

يُعتبر توافق الشكل اللغوي مع المضمون الفكري والاجتماعي من الخصائص الأساسية للأسلوب في النصوص النثرية. إن هذا التوافق يسهم في تحقيق تأثير متكامل على القارئ، حيث يعكس الأسلوب اللغوي الأفكار والمشاعر الاجتماعية والثقافية التي ينقلها النص. على سبيل المثال، قد يستخدم الأديب أسلوباً رسمياً ومحددًا في نص يناقش قضايا اجتماعية جدلية، مما يعكس جدية الموضوع ويعزز من مصداقية النص. بالمقابل، قد يستخدم أسلوباً أكثر حميمية وعفوية في نص يعبر عن مشاعر شخصية أو تجارب فردية، مما يخلق تواصلًا عاطفيًا مباشرًا مع القارئ. هذا التوافق يعزز من قدرة النص على إيصال الرسالة الأدبية بشكل فعال، ويجعل النص أكثر انسجاماً وتماسكاً، مما يسهم في تعزيز فهم القارئ وتفاعله مع المحتوى.

فعلم الأسلوب هو في خاتمة الأمر بيانٌ لأداء التعبير عبر الفكر من خلال اللغة، ومع ما في هذا من اتّساع الفجوة بين الفكر واللغة، فعلم الأسلوب يساعد على ملء الفجوة بين الدراسات اللغوية والأدبية في مجال التعليم والبحث معاً، وبفضله يمكن الوصول إلى الوحدة الجوهرية الشاملة التي يهدف إليها النقل المتكامل في تغطيته لمختلف مستويات العمل الأدبي بنيويًا ليصل من ذلك إلى تحديد أثره الجمالي الأخير.

وفي الإمكان أن نحدّد الأبعاد الآتية لأيّ أداءٍ لغويّ:

- موضوع الحديث؛ أي الشيء الذي نتحدّث عنه، وهو ما أطلق عليه "شارلز مورس Charles W. Morris" "تعبير البعد السيمانطيقي: "Sematic dimension".
- الأطراف بمعنى المتكلم والمخاطب: "speaker and addressee".
- العملية الكلامية: بمعنى اللغة التي ترسل بها الرسالة.
- الصياغة الشعرية؛ وهي اللغة التي نصوغ بها الرسالة.
- الرسالة والمقصود بها الشكل، أو الصيغة التي نقدم موضوع الحديث، أو المضمون، وهي بذلك ترتيب المادة الكلامية.

إنَّ كلّ الأبعاد الخمسة المذكورة آنفاً تدخل في اللغة الشعرية مثلما تدخل أيضاً في الكلام العادي، إلّا أنَّ هذه الأبعاد في اللغة الشعرية تخضع لنظامٍ مغايرٍ، بل إنَّ بعض هذه الأبعاد تقوم بأداء وظيفةٍ مختلفةٍ في مغزاها عمّا نتوقعه في لغة النثر، ولعله من اللافت للنظر أنَّ كلاً من هذه الأبعاد الخمسة قد وُجد من ينادي له بأنّه يحوي في داخله الخواص الجوهرية للشعر.

ونشير إلى أنَّ الأهداف العامة في البحث الأسلوبي تقوم على مبادئ علم اللغة التطبيقي، فالدراسة الأسلوبية تجعل من البيانات اللغوية مرتكزاً لها، وميزات الأساليب الأدبية المختلفة عن بعضها البعض، تستدعي استيعاب العلاقة بين اللغة والأداء الفني، بغية تبين حدود التأثيرات اللغوية في إسهامات الناقد الأدبي، فعلم اللغة التطبيقي يتيح رسم ملامح شاملٍ في حيّز الدراسة الأدبية.

IV. دور المتلقي في علم الأسلوب

يُعتبر المتلقي جزءاً لا يتجزأ من عملية التحليل الأسلوبي، حيث يتفاعل مع النص الأدبي ويُسهّم في تشكيل الفهم والتفسير الذي يتبناه. إن فهم دور المتلقي في علم الأسلوب يتطلب تجاوز النظرة التقليدية التي تركز فقط على تفكيك النص لغوياً، إلى تبني منظور شامل يأخذ في الاعتبار السياقات الثقافية والاجتماعية التي ينشأ فيها النص وكيفية تأثيرها على استقبال المتلقي للأسلوب المستخدم.

1. المتلقي كجزء من التحليل الأسلوبي

• عدم الاكتفاء بالتفكيك اللغوي للنص

تقليدياً، كان التحليل الأسلوبي يركز بشكل رئيسي على العناصر اللغوية الداخلية للنص، مثل اختيار الكلمات، تركيب الجمل، واستخدام الأساليب البلاغية. ومع ذلك، أصبح من الواضح أن هذا النهج وحده لا يكفي لفهم كامل للأسلوب وتأثيره على المتلقي. إذ أن الأسلوب ليس مجرد مجموعة من القواعد اللغوية بل هو أيضاً وسيلة لتحقيق أهداف تواصلية وفنية محددة. لذا، يتطلب التحليل الأسلوبي الحديث دمج النظرية اللغوية مع فهم تجارب وتفاعلات المتلقي مع النص. هذا التوجه يعزز من قدرة الباحثين على تحليل كيف يساهم الأسلوب في إيصال المعاني، إثارة المشاعر، وتحفيز خيال المتلقي، مما يجعل التحليل أكثر شمولية ودقة.

• مفهوم البنائية الصغرى والبنائية الكبرى وتأثير السياق الثقافي والاجتماعي

ينقسم علم الأسلوب في تحليله للعلاقة بين النص والمتلقي إلى نوعين رئيسيين:

— البنائية الصغرى تتعلق بالبنية الداخلية للنص، مثل التراكيب اللغوية، القواعد النحوية، واختيار الكلمات، وكيفية تركيب هذه العناصر لتحقيق تأثير معين على القارئ.

— البنائية الكبرى تتعلق بالسياق الثقافي والاجتماعي الذي ينشأ فيه النص، وكيف يؤثر هذا السياق على تفسير وتفاعل المتلقي مع الأسلوب المستخدم. يشمل هذا الجانب دراسة الخلفية الثقافية والاجتماعية للأديب والمتلقي، وكيف يمكن أن تؤثر التقاليد الثقافية والمعايير الاجتماعية على فهم النصوص الأسلوبية. يؤثر السياق الثقافي والاجتماعي بشكل كبير على كيفية استقبال المتلقي للأسلوب الأدبي، حيث قد تُفهم الأساليب البلاغية والتراكيب اللغوية بطرق مختلفة تبعاً للتجارب والخلفيات الثقافية المتنوعة. على سبيل المثال، قد يكون استخدام الرموز الثقافية في نص معين أكثر فعالية وتأثيراً في مجتمع معين مقارنةً بآخر حيث قد لا تكون هذه الرموز معروفة أو مفهومة بنفس القدر. لذلك، يُعتبر فهم البنائية الكبرى ضرورياً لتحليل كيفية تأثير السياق على استقبال المتلقي للأسلوب الأدبي.

2. تأثير الأسلوب على المتلقي

• إمتاع القارئ، إقناعه، شد انتباهه، وإثارة خياله

يُعتبر الأسلوب أحد الأدوات الأساسية التي يستخدمها الأديب لإمتاع القارئ وإقناعه، بالإضافة إلى جذب انتباهه وإثارة خياله. من خلال استخدام الأساليب البلاغية المتنوعة مثل التشبيه، الاستعارة، الجناس،

والتكرار، يمكن للأديب أن يخلق نصوصاً ذات جمالية عالية تجذب القارئ وتجعله يستمتع بقراءتها. على سبيل المثال، استخدام التشبيه يمكن أن يضفي على النص عمقاً وثراءً في الوصف، مما يجعل الصور الأدبية أكثر حيوية وإيحاءً.

بالإضافة إلى الإمتاع، يمكن للأسلوب أن يكون وسيلة لإقناع القارئ بوجهات نظر معينة أو للتأثير على مشاعرهم تجاه موضوع معين. على سبيل المثال، استخدام لغة قوية ومؤثرة في نصوص سياسية أو اجتماعية يمكن أن يعزز من قدرة النص على التأثير في آراء المتلقين وتغيير مواقفهم. علاوة على ذلك، يسهم الأسلوب في شد انتباه القارئ من خلال تنوع تراكيب الجمل واستخدام أساليب سردية مبتكرة، مما يجعل النص أكثر تشويقاً وإثارة للاهتمام.

كما أن الأسلوب يلعب دوراً حيوياً في إثارة خيال القارئ، حيث يمكن للأدب الإبداعي أن يستخدم أساليب وصفية دقيقة وتراكيب لغوية مبتكرة لتحفيز الخيال وإيصال صور فنية غنية تدفع القارئ إلى التفكير والتأمل في معاني النصوص وأبعادها المختلفة.

• اعتبار الأسلوب سمات النص التي تترك أثراً على المتلقي

يُعتبر الأسلوب أحد السمات الرئيسية التي تميز النصوص الأدبية وتترك أثراً عميقاً على المتلقي. فهو ليس مجرد وسيلة للتعبير بل هو عنصر أساسي يساهم في خلق التجربة الأدبية ككل. الأسلوب يشمل مجموعة من العناصر مثل اختيار الكلمات، تراكيب الجمل، استخدام الأساليب البلاغية، والتناغم الصوتي، وكل هذه العناصر تعمل معاً لتحقيق تأثير معين على المتلقي.

يمكن اعتبار الأسلوب كعامل رئيسي في تحديد مدى تأثير النص على المتلقي، حيث أن الأسلوب الجيد يمكن أن يجعل النص أكثر فعالية في إيصال الرسالة المراد توصيلها. على سبيل المثال، النصوص التي تستخدم أسلوباً وصفيًا غنياً يمكن أن تخلق صوراً بصرية قوية في ذهن القارئ، مما يعزز من تجربته القرائية ويجعله يشعر وكأنه يعيش أحداث النص.

بالإضافة إلى ذلك، يُساهم الأسلوب في تعزيز الهوية الأدبية للأديب، حيث يمكن أن يكون لكل أديب أسلوب مميز يعكس شخصيته وأفكاره وقيمه. هذا التميز الأسلوبي يمكن أن يجعل النصوص الأدبية أكثر تميزاً وتفرداً، مما يزيد من جاذبيتها ويجعلها أكثر تأثيراً على المتلقي.

فالأسلوب هو مجموع الظواهر اللغوية المختارة الموظفة المشكّلة عدولاً، وما يتصل بذلك كله من إichاءات، ودلالات، ممتزجاً كل ذلك بشبكة العلاقات داخل النص، وخارجه، وقد سار مؤلفو البلاغة العامة في الاتجاه ذاته، حينما يحددون الأسلوب بكونه "ردود فعل القارئ في استجابته لمنهات النص"، فالمتلقي موجود في الخطاب بالقوة؛ مما يجعل المخاطب يُضمّن خطابَه عناصر لغويةً من شأنها التأثير فيه.

بالتالي، فإن فهم تأثير الأسلوب على المتلقي يمكن أن يساعد الباحثين والكتاب على تطوير نصوص أدبية أكثر فعالية وتفاعلية، مما يعزز من قدرتهم على تحقيق أهدافهم الأدبية والفنية.

V. خلاصة

في ختام هذه المحاضرة، يتضح أن علم الأسلوب يشكل حجر الزاوية في تفاعل اللغة مع الأدب، حيث يجمع بين التحليل اللغوي الدقيق والإبداع الأدبي المتميز. لقد استعرضنا تاريخ تطور العلوم اللغوية والأدبية، مؤكداً على دور علماء بارزين مثل أبو نصر الفارابي، ابن الأنباري، السكاكي، أبو حيان الأندلسي، وأحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده في تنظيم وتوسيع نطاق هذه العلوم. من خلال هذه المحطات التاريخية، تبين لنا كيف أن علم الأسلوب قد تطور ليصبح جسراً يربط بين النظرية اللغوية والتعبير الأدبي، مما يعزز من قدرتنا على تحليل النصوص الأدبية بعمق ودقة، واكتشاف الجماليات والابتكارات اللغوية التي تميز الأعمال الأدبية.

علاوة على ذلك، لم يعد المتلقي مجرد مستقبل سلبي للرسالة الأدبية بل أصبح جزءاً فاعلاً من عملية التحليل والتفسير. من خلال فهم تجارب وتفاعلات المتلقي مع النصوص الأدبية، يمكننا تحليل كيفية تأثير الأسلوب على تجربة القراءة والإدراك، مما يجعل الدراسة الأسلوبية أكثر شمولية ودقة. كما أظهرنا كيف أن البنائية الصغرى والبنائية الكبرى تلعبان دوراً حيوياً في فهم كيفية تفاعل السياق الثقافي والاجتماعي مع استقبال المتلقي للأسلوب الأدبي، مما يعزز من قدرتنا على تحقيق تأثيرات متكاملة على القارئ.

في الختام، يتبين أن علم الأسلوب ليس مجرد دراسة لأساليب التعبير بل هو منهج نقدي متكامل يسعى إلى تحقيق التوازن بين القواعد اللغوية والإبداع الأدبي، وكيفية تأثير الأسلوب على المتلقي من خلال إمتاعه، إقناعه، شد انتباهه، وإثارة خياله. إن هذا العلم يساهم في تطوير مهارات الكتابة والنقد الأدبي، مما يعزز من قدرة الأديب والناقد على التواصل بفعالية مع الجمهور وتحقيق التأثير المطلوب. من خلال توحيد اللغويات والأدب، يساهم علم الأسلوب في بناء نظرة شاملة ومتكاملة لدراسة النصوص الأدبية، مما يعزز من جودة النقد والتحليل الأدبي ويثري التجربة الأدبية ككل.

المصادر والمراجع المعتمدة:

- (1) ابن الأنباري، الإعراب في جدل الأعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، سوريا، 1957.
- (2) ابن الأنباري، لمع الأدلة في أصول النحو، تح: أحمد عبد الباسط، دار السلام للطباعة، القاهرة، مصر، 2017.
- (3) ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: عطية عامر، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1998.
- (4) بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.
- (5) توفيق الزبيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس وليبيا، 1984.
- (6) حسن المرصفي، الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط 01، 2012.
- (7) أبو حيان الأندلسي، الإدراك للسان الأتراك، المطبعة العامرة الشرفية، القاهرة، مصر.
- (8) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، لبنان، 2002.
- (9) خوسيه ماريا بوثويلو إيفانكوس، في نظرية اللغة الأدبية، تر: حامد أبو أحمد، سلسلة الدراسات النقدية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992.
- (10) رجاء عيد، تحليل الأسلوب والمنهج العلمي لدراسة الأدب، مجلة التربية، قطر، العدد 103، ديسمبر، 1992.
- (11) يرفاتير، معايير التحليل الأسلوبي، تر: حميد لحي داني، دار النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1993.
- (12) السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1987.
- (13) صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1، 1998.
- (14) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1985.
- (15) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 3، 1982.